ميامر دير السريان العامر

عيد الظهور الإلهى

(الغطاس)

للقديسين

كيرلس الكبير

يوحنا فم الذهب

٦/٥٥٤
١٢

الأنبا إيساك

ميامر دير السريان للعلم
+ الرقم العام: ٣٦٨٦٢
+ الرمز الخاص: ٦/٥٥٤
+ القسم ١٢

عيد الظهور الإلهي

[الغطاس]

للقديسين

كيرلس الكبير

يوحنا فم الذهب

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)
الأنبا إيساك

اسم الكتاب : عيد الظهور الإلهي
للقديسين كيرلس الكبير - يوحنا فم الذهب .
اسم المؤلف : الأنبا إيساك .
الناشر : مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج .
المطبعة : دير مارمينا العجائبى بمريوط .
رقم الإيداع : ١٧٠٥ / ٩٨
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 5005 - 24 - 8

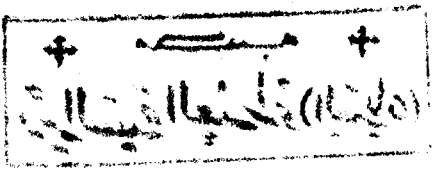

صاحب الغبطة والقداسة **البابا شنوده الثالث**

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

تمهيد

هلم نعيد للمسيح ابن الله الحبيب الذى سر الآب به . فاليوم وفى ملء الزمان ظهر ملء اللاهوت جسديا حسب التدبير. اليوم طرح يسوع وراءه سنوات الكمون والاختباء، سنوات الدعة والامان وأبتدأ يظهر ليبشر المساكين، ويشفى المنكسرى القلوب ولينادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر ويرسل المنسحقين فى الحرية (لو٤: ١٨).

سر عجيب أستعلن لنا اليوم : المسيح يأتى إلينا اليوم بالماء... وبعد ذلك يوم جمعة الصلبوت يأتى إلينا بالدم. «فهذا هو الذى أتى بماء ودم، يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم والروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق» (١يو٥: ٦) .

الخليقة كلها تتهلل اليوم بظهور إلهها لها: «لأنه أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه، كما هو مكتوب فى سفر الجليان» (رؤ١: ٥) وأيضا «والذين يشهدون فى الارض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد» (ايو٥: ٨) .

مقدمة

اعتاد دير السريان العامر منذ الخمسينات إصدار ميمر أبائى فى كل مناسبة عيد، لا سيما عيد الميلاد و القيامة وذلك لنشر فكر الآباء فى هذه المناسبات المقدسة.

ولقد بارك نيافة الأنبا متاؤوس أسقف ورئيس دير السريان العامر فكرة إعادة هذا التقليد للدير، وبتشجيع من الأحباء خدام كنيسة مارجرجس باسبورتنج (الإسكندرية) نبدأ بنعمة ا لله نشر هذا الميمر عن عيد الظهور الإلهى (الغطاس) للقديسين كيرلس، فم الذهب

والرب يعطى نعمة وقوة لنوالى نشر ما هو ثمين من تراث الآباء فى مناسبات متتالية أن احب الرب وعشنا.

سلاما وبنيانا لكنيسة ا لله المقدسة .

إيساك

عيد الظهور الألهى

يناير ١٩٩٨

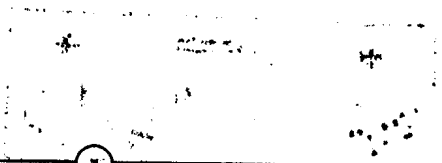

يوحنا المعمدان

❖ ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا ؟

هلم بنا نسمع شهادة الرب يسوع المسيح الذى هو الحق نفسه، عن سابقه يوحنا اذ يقول: «ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ أقصبة تحركها الريح؟ لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أإنسانا لابسا ثيابا ناعمة؟ هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى قصور الملوك. لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبيا نعم أقول لكم وأفضل من نبى» (متى١١ :٧-٩).

القصبة ترمز سريا فى المعنى الروحى للإنسان المستغرق تماما فى أمجاد هذه الدنيا الزائلة. وكما أن القصبة من الغاب الأجوف، فإنها ترمز إلى الانسان الفارغ داخليا من ثمار الحق... إن له مظهراً أخاذاً ولكن بدون أعماق داخلية... لذلك هو يساير اتجاهات هبوب كل ريح، مائلا بسهولة نحو أى اقتراح تقترحه عليه الأرواح النجسة التى لها سلطان الهواء.(١ف٢ :١)، فهو لا يقدر أن يقف ثابتا لأن الأباطيل قد دخلت إلى نخاع عظامه. لذلك فحينما يقول الرب: "ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا أقصبة تحركها الريح، فإنه يعنى بهذا القول هل خرجتم لتنظروا إنسانا فارغا من معرفة الله يستجيب لكل نفخة تنفخها الأرواح النجسة؟ وهو يتحدث هنا بأسلوب الإيحاء

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

والتقريظ، وليس بأسلوب الانتقاد والتأنيب مؤكدا أن يوحنا ليس شخصا هوائيا أجوفا من الداخل...

«بل ماذا خرجتم لتنظروا أإنسانا لابسا ثيابا ناعمة، هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى قصور الملوك».

الثياب ترمز سريا فى المعنى الروحى إلى الجسد الذى تلبسه النفس(٢كو ٥: ١-٤). وهو يصير ناعما بإشباع شهواته وبترفهه... أما الملوك فهم الملائكة الذين سقطوا، لأن هؤلاء هم القوات المتسيدون على الناس فى هذه الدنيا. لذلك فإن الذين يتمرغون فى ثياب الترفه هم فى قصور الملوك، يعنى الذين استرخت وانحلت أجسادهم بالشهوات هم مأوى لكل شيطان نجس. والشياطين يختارون مثل هؤلاء لسكناهم، حيث أنهم يناسبون مخططاتهم وأعمالهم الشريرة...

❖ صوت صارخ فى البرية

البرية هى المكان الخالى من الماء. والماء يرمز سريا فى المعنى الروحى للروح القدس (يو٧: ٣٧-٣٩). فالبرية هى النفوس الخربة التى لا تأوى الله، ولا يجد الله فيها، موضع راحه له... لذلك فهى المحتاجة إلى مناداة صوت الله فى وسطها كى تتحول هذه النفوس إلى فراديس وجنات. ولكون هذه النفوس غارقة فى سبات الخطيئة، لذلك احتاجت إلى صوت صارخ لكى يوقظها من غفلتها...

حسن أن يُدعى يوحنا المعمدان صوتا، اذ هو الصوت المبشر بالكلمة، إنه الصوت السابق والمعّبر عن الكلمة. فيوحنا هو صوت أما الرب يسوع فهو الكلمة. يوحنا صوت صارخ وسط النفوس التائهة والضائعة والتعسة، يحمل لها العزاء والرجاء، وأمل الفداء بواسطة الكلمة المتجسد .

كرازة يوحنا

❖ أعدوا طريق الرب

«كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية. فجاء إلى الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما هو مكتوب فى سفر أقوال أشعياء النبى القائل :صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة. كل واد يمتلئ وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقا سهلة ويبصر كل بشر خلاص الله» (لو٣: ٢-٦).

قيل عن يوحنا إنه السراج المضئ (يو٥: ٣٥) أما المسيح فهو النور الحقيقى وشمس البر... فكما تسبق نجمة الصبح إشراقة الشمس، مبشرة بها ومعلنة عن قدوم يوم جديد، هكذا بشر يوحنا بقدوم مسيح الرب إلى البشرية.

لقد أختبر يوحنا ليكون رسولا للعهد الجديد، وهو فى نفس الوقت آخر أنبياء العهد القديم. ولكونه إبتدأ يكرز ولم يكن الرب قد أظهر ذاته بعد، لذلك فهو يقول:« أعدوا طريق الرب» وما معنى «أعدوا طريق الرب»؟ المقصود هو : استعدوا لقبول أى شئ يريده المسيح... حرروا قلوبكم من ظل الناموس وكفوا عن الرموز لأن المرموز اليه فى وسطكم قائم لا تفكروا فيما بعد أفكارا منحرفة بل «اصنعوا سبل الله مستقيمة».

❖ سبل الله المستقيمة

كل طريق يقود إلى الصلاح هو طريق مستقيم وممهد وسهل، أما الطريق المعوج فإنه يقود السالكين فيه إلى متاهات الشر والضلال... فانه مكتوب عن هؤلاء: «الذين طرقهم معوجة وهم ملتوون فى سبلهم» (أم٢: ١٥) لذلك فان العقل المستقيم هو كالطريق المستقيم الذى ليس فيه اعوجاج. كما وصف المرنم أيضا قائلا: «لا يلتصق بى قلب معوج» (مز١٠١: ٤) وبهذا حث يشوع بن نون الشعب قائلا لهم: "اجعلوا قلوبكم مستقيمة مع اله إسرائيل (يش٢٤: ٢٣). فصرخة يوحنا: «أصنعوا سبله مستقيمة» معناه أن تكون النفس مستقيمة فى ادراكاتها الطبيعية كما خلقها الله*[1]. وهى قد خُلقت جميلة ومستقيمة. أما إن انحرفت عن طهارة طبعها ونقاوة طبيعتها الأولى، فإنها تنقلب إلى الرذيلة. لذلك فالأمر ليس صعبا، لأننا إن كنا نستمر باقين على ما خلقنا عليه، فإننا سنكون فضلاً.

ولكن قد يصيح أحدهم معترضا: هناك عوائق جمة فى طريق أولئك الذين يسعون أن يعيشوا حياة مستقيمة... فكيف نعد طريق الرب؟ وكيف نجعل سبله مستقيمة؟ فهناك الشيطان الذى يبغض كل ما هو نقى وجميل. وكذلك هناك حشد من الأرواح النجسة الشريرة وأيضا ناموس الخطيئة نفسه الذى يعمل فى أعضائنا الجسدية والذى

---

* بعد المعمودية، اى بعد الميلاد الفوقانى ونوال الخليقة الجديدة [المترجم]

يقاوم ميول العقل نحو الصلاح، وهناك شهوات أخرى كثيرة تسيطر على عقل الانسان... فماذا نفعل مع هذه الصعوبات الشديدة الضاغطة علينا؟

إن كلمة النبى أشعياء ترد على هذه الاعتراضات قائلة: «كل واد يمتلئ، وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة، والشعاب طرقا سهلة. ويبصر كل بشر خلاص الله» (اش ٤٠: ٤).

خلاص الله الذى أعده أمام جميع الشعوب - ربنا يسوع المسيح - هو الذى سيحطم كل العوائق ويذلل كل الصعاب... إنه الخلاص الذى من عند الآب ،حيث أرسل أبنه ليكون مخلصا لنا.

عبارة «كل جسد» يقصد بها الانسان عموما، أى كل الجنس البشرى. لأنه هكذا سيبصر كل جسد خلاص الله. ليس إسرائيل فقط بل كل بشر، لأن لطف المخلص الذى هو رب الكل، ليس له حدود، وهو لم يخلص أمة واحدة فقط، بل بالحرى أحتضن العالم كله فى شركة محبته. لقد أنار على كل الذين فى الظلمة، وهذا ما ترنمت به قيثارة المرتل: «كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب» (مز٨٦: ٩). وفى نفس ألوقت فإن بقية إسرائيل تخلص، وذلك كما سبق أن أعلن موسى العظيم منذ القديم قائلا: «تهللوا أيها الأمم مع شعبه» (تث٣٢: ٤٣) .

❖ اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة

الصوت الصارخ فى البرية، أى يوحنا المعمدان، أخذ النفوس المجدبة وأتى بها إلى مياة نهر الأردن. لقد سمع الله صراخ شعبه وفجر لهم ينابيع المياه الحية ليرووا عطشهم. لقد قدس ماء المعمودية ليغسل شعبه من خطاياهم، كما تنبأ أشعياء النبى أيضا: «فتستقون مياها بفرح من ينابيع الخلاص» (أش١٢: ٣).

وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه: «يا أولاد الافاعى، من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى. فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا، لأنى أقول لكم أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار» (لو٣: ٧-٩).

لمن يوجه يوحنا هذه العبارات الشديدة؟ أنه يوجهها لليهود الذين أتوا اليه مخبرين بأفعالهم الرديئة وتائبين عنها، والذين قبلوا أن يعتمدوا فى مياه نهر الأردن على يد يوحنا متطلعين إلى بداية حسنة جديدة مع الله... لماذا أذن يوجه لهم هذه العبارات الصعبة؟

أن المعمدان كنبى ممتلئ من روح الله من بطن أمه «لأنه يكون عظيما أمام الرب... ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس» (لو١:١٥). كان يعرف مسبقا ما سيفعله اليهود بالمسيح. تلك

الأفعال المتهورة فانهم لم يكتفوا بعدم الإيمان به فقط، بل شحذوا ألسنتهم المملؤة سما ضده. فكالوا له الافتراءات والاتهامات الباطلة يتهمونه مرة بأنه مولود من زنى، ومرة أخرى أنه يجرى المعجزات بقوة بعزبول رئيس الشياطين (لو١١: ١٥). ومرة أيضا أن به شيطان وأنه ليس أفضل من سامرى...

لذلك كله، فإنه يدعو حتى أولئك الذين تابوا أشرارا. وهو يوبخهم، لأنهم بالرغم من الناموس الذى عندهم و الذى يعلن لهم سر المسيح، ورغم تنبؤات أنبيائهم عن المسيح، إلا إنهم رغم ذلك ثقيلوا السمع، وغير مستعدين للأيمان بالمسيح الذى هو مخلص الجميع!

❖ *من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى*

إيمانكم بالمسيح أيها اليهود، هو الذى يجعلكم تهربون من الغضب الآتى. أليس ناموسكم الذى تؤمنون به هو يخبركم عن سعادة أولئك الذين يؤمنون بالمسيح؟ لذلك فاننى أحذركم مسبقا أن كل أصحاب الجهالة الذين لا يؤمنون بالمسيح، سوف يدانون بغضب ألهى وعقاب شديد، لا يستطيع أحد أن يهرب منه.

إن التوبة لها ثمرة، وثمرة التوبة بالدرجة الأولى هى: الإيمان بالمسيح ثم السلوك كما يحق لانجيل المسيح. وعلى وجه العموم، ثمار التوبة اللائقة هى كل أعمال البر المضادة للخطية.

❖ نسل إبراهيم والحجارة

قد يجد المتكبر شيئا دينيا يفتخر به... ولكن ها أنتم ترون كيف يحُط المعمدان من كبريائهم الردئ ويبين أن ولادتهم من إبراهيم حسب الجسد بلا فائدة و لا نفع، كما قال المخلص أيضا: «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم» (يو٨: ٣٩) لأنه أى منفعة من نبل المولد إن كان الأبناء لا يمارسون نفس الأعمال الحسنة التى لوالديهم، ولا يقتدون بفضائل أجدادهم؟ فإنه أمر باطل أن يفتخر أحد بقداسة والديه بينما هو نفسه متخلف عنهم فى الصلاح والفضيلة والتقوى. «لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعا أولاد، بل بإسحاق يدعى لك نسل. أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا» (رو٩: ٦-٨).

وقد يسأل يهودى: ألم يعد الله إبراهيم أن يكون نسله كعدد نجوم السماء، وعدد رمل البحر، فكيف يتحقق هذا الوعد إذن؟ الجواب هو: بدعوة الأمم ليؤمنوا إيمان إبراهيم، ويعملوا أعمال إبراهيم. لأنه قيل لإبراهيم نفسه: «قد جعلتك أبا لأمم كثيرة» (تك١٧: ٤). فبإيمان الأمم بالمسيح، قد صار إبراهيم أبا لأمم كثيرة. الحجارة، ترمز سريا فى المعنى الروحى للأمم، حين تكلم الله بصوت حزقيال النبى قائلا: «وأنزع قلب الحجر من لحمهم، وأعطيهم

قلب لحم لكى يسلكوا فى فرائضى ويحفظوا أحكامى ويعملوا بها ويكونون لى شعبا» (حز١١: ١٩). وهنا المعمدان المبارك يطلق على الأمم بوضوح أسم "حجارة" لأنهم لم يكونوا يعرفون طبيعة الله بعد، بل كانوا فى ضلالتهم وحماقاتهم يشكلون من الحجارة تماثيل آلهتهم، ويعبدون المخلوق دون الخالق... ولكنهم مع ذلك، قد دعوا من الله، وصاروا أبناء إبراهيم بإيمانهم بالمسيح حين اعترفوا بمن هو اله بالطبيعة.

❖ *الفأس على أصل الشجرة*

«و الان قد وضعت الفأس على أصل الشجرة» (لو٣: ٩).

فى هذه العبارة يشير بالفأس إلى غضب الله الشديد الذى أنزله على اليهود بسبب شرهم وعنفهم وتطاولهم على المسيح لأن غضب الله قد أدركهم كمثل الفأس – أى تشتتهم وخراب هيكلهم أيام تيطس الرومانى– وهذا ما شرحه لنا زكريا النبى متنبئا: «ويكون فى أورشليم كالنوح على بستان الرمان المقطوع فى الوادى» (زك١٢: ١١). وأرميا أيضا يخاطب أورشليم فى تلك الأوقات قائلا: «دعا الرب أسمك زيتونه خضراء جميلة الصورة. وعند امتلائها أوقد نار عليها فأنكسر أغصانها وكان النواح عليها عظيما. ورب الجنود غارسك قد تكلم عليك شرا» (أر١١: ١٦-١٧).

ومع ذلك، فهو لا يقول أن الفأس قد وضع " فى" أصل الشجرة بل "على" أصل الشجرة أى فقط بالقرب من الأصل. فحتى لو قطعت

بعض الأغصان، لكن الشجرة لم تُقتلع من جذورها، لأن هناك بقية لإسرائيل ستخلص، ولا تهلك كلها بالمرة.

❖ *ماذا نفعل؟*

«وسأله الجموع قائلين: فماذا نفعل؟ فأجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط من ليس له. ومن له طعام فليفعل هكذا. وجاء عشارون أيضا ليعتمدوا فقالوا يا معلم ماذا نفعل فقال لهم: لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم. وسأله جنديون أيضا قائلين وماذا نفعل نحن؟ فقال لهم: لا تظلموا أحدا، ولا تشوا بأحد، واكتفوا بعلائفكم» (لو٣: ١٠-١٤).

لقد قدم المعمدان لوقا فى بشارته ثلاث مجموعات من الناس يسألون يوحنا ماذا نفعل؟ وهم الجموع، والعشارون وثالثا الجنود. وكما أن الطبيب الماهر يقدم لكل نوع من المرض العلاج المناسب والملائم، هكذا أيضا المعمدان أعطى لكل طريقة حياة مشورة لائقة ونافعة. فوضع بالنسبة للجموع السائرين فى طريق التوبة، أن يمارسوا أعمال الرحمة المتبادلة... والعشارون جباة الضرائب منعهم من الطمع وجباية أكثر مما هو مفروض. أما الجنود فبحكمة عظيمة يطالبهم بأن لا يظلموا أحد، ولا يشوا بأحد زورا وبهتانا عند الحكام والرؤساء، وأن يكتفوا بأجورهم... لقد نفذ هو أولا بحياته ما علم به. لذلك أستحق أن يكون عظيما فى ملكوت السموات لأنه كان يعمل بما يُعلّم به فاما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات (متى٥: ١٩).

مجئ المسيح إلى الأردن ليعتمد من يوحنا

اليوم يصل المسيح إلى الأردن... أتى مخلصنا ليعتمد، حتى من خلال مياه المعمودية التى طهرها وقدسها وملاءها نعمة، يجدد طبيعتنا العتيقة إلى حياة جديدة ويشفينا من ذنوبنا وخطايانا، ويسربلنا بقداسة متألقة البهاء...

❖ يوحنا ليس هو المسيح

وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح. أجاب يوحنا الجميع قائلا أنا أعمدكم بماء ولكن يأتى بعدى من هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره. ويجمع القمح إلى مخزنه وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» (لو٣:١١-١٧).

لقد آتت جماهير غفيرة من اليهود منبهرة من طريقة حياة يوحنا ابن البرية، ومن تعاليمه النقية، والمدوية بقوة... ولقد ذهلوا لكونه يعمل بما يعلم به، فحياته مفعمة بالتقوى الفائقة التى لا تجارى، وبالسلوكيات الرصينة الرائعة. لأنه كان عظيما جدا ومثيرا للإعجاب... وليس كالكتبة والفريسين الذين كانوا يقولون ولا يفعلون (مت٢٣: ٣). لذلك بدءوا يفكرون ترى هل يوحنا هو المسيح نفسه؟ لذلك نرى المعمدان يقطع ظنونهم فى الحال، وكعبد

أمين يقدم الكرامة اللائقة بسيده، ناسبا المجد لذلك الذى يفوق الكل أى المسيح.

لأن المسافة التى تفصل بين الله والأنسان تفوق القياس. لذلك يقول: «انتم أنفسكم تشهدون أنى قلت لكم انى لست المسيح بل أنا مرسل أمامه» (يو٣: ٢٢).

هذا ما نجده فى إنجيل يوحنا ، ومكتوب هناك أيضا «وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود فى أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر واقر إنى لستُ المسيح» (يو١: ١٩-٢٠).

كان يوحنا مدركا بوضوح الفرق الشاسع الذى بينه كخادم وبين المسيح الذى تُقدم له الخدمة بين العبد والرب، بين السابق وبين من هو متألق بالكرامة الإلهية.

❖ أنحنى وأحل سيور حذائه

رغم أنه لم يقم بين مواليد النساء أعظم من يوحنا كشهادة الرب (لو٧: ٢٨). وكان عظيما أيضا لأنه عاش بما يعلم به، وعمل بكل ما كان ينادى به، لم يكتف بأن يضع على الناس أحمالا لا يحركها هو بإصبعه... رغم كل عظمته هذه، إلا إنه يعلن أنه غير مستحق أن يلمس حذاء المسيح.

وإعلان يوحنا هذا هو حق وصدق لأن المسيح هو الإله الساكن فى نور لا يدنى منه (اتى٦: ١٦).

وكل القوات العقلية فى السماء: الشاروبيم والسارفيم والقوات، والعروش، يقفون حول عرشه الالهى يباركونه ويسبحونه بلا انقطاع كرب للكل، مقدسين أنفسهم ليؤهلوا لمرتبة خدمته فهل يستحق الانسان ساكن الارض حتى أن يقترب من الله؟

يا أحبائى رغم أن الله يحب الانسان ويعامله باتضاع ولطف وطول أناة إلا أنه ينبغى علينا أن نعترف بوهن وضعف طبيعتنا. فيد يوحنا التى قال إنه غير مستحق أن يحل سيور حذاء يسوع بها، هذه قد رفعها يسوع حتى فوق هامته.

❖ ***الرفش والبيدر***

أنظروا إنه يقارن البشر على الأرض بسنابل القمح أو بالحرى ببيدر الدراسة. ولقد عمل الرب مقارنة مماثلة حينما قال لرسله القديسين «الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون فاطلبوا من الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده» (لو ١٠: ٢). فنحن البشر الذين على الارض نُدعى سنابل قمح، ونسمى بالحصاد، هذا الحصاد يملكه الله الذى هو فوق الكل لأنه هو الرب على الكل. ولكن انظروا ها المعمدان المبارك يقول إن البيدر هو خاص بالمسيح ويملكه المسيح، وهو الذى ينقيه إذ يفصل التبن عن القمح.

فلا يستهن أحد بذلك الحمل الوديع، ولكن لنعلم أن رفشه فى يده وسينقى بيدره، فالقمح سيجمع فى مخازنه السمائية وأما التبن

فيحرقة بنار لا تطفأ... لأنه لا يمكن أن ينجوا من أهمل خلاصا عظيما هذا مقداره وكل تعد ومعصية وتمرد سيكون عقوبتها الحرق...

ليتنا لا نكن تبنا، بل لنكن قمحا ونستمر قمحا... ولكن إن كنت قمحا، فاعلم أنك ستمتحن بالرفش الذى فى يده، وكل من يثبت وسط التجارب والضيقات والآلام والعواصف، فقد اثبت أنه قمح حقيقى.

فالقمح هو الانسان الراسخ الصلب والمتضع الرزين والحكيم الممتلئ... أما التبن فهو الانسان الأجوف و المتعالى فى الهواء والذى يُحمل بكل ريح تعليم، والذى يغوى قلبه بسهولة. فهنا القمح يشير إلى الأبرار الذين لهم إيمان ثابت وراسخ، سيجمع حينئذ فى المخزن، أى يحسب مستحقا للامان فى يد الله ومستحقا للرحمة والحماية والحب. أما التبن فيحرق فى النار كمادة لا نفع لها.

❖ *يعمدكم بالروح القدس ونار*

فى استطاعة الرب يسوع وحده أن يمنح الناس سكنى الروح القدس ويجعل اولئك الذين يقتربون منه شركاء للطبيعة الإلهية. هذه الخاصية كائنة فى المسيح لا كشئ مكتسب أو أنتقل إليه من آخر، بل كخاصية ذاتية فى جوهره، وهى كونه يُعمد بالروح القدس... هذا له أهمية عظيمة إذ يبرهن بوضوح أن يسوع هو الله والرب. لأن منح الروح القدس، هى خاصية ينفرد بها الجوهر الفائق للكل -أى جوهر

ا لله- أذن من الواضح أن الكلمة الذى صار إنسانا هو ا لله ومن جوهر الآب. فالكلمة لكونه إلها، يعطى من ملئه الروح القدس للذين يستحقونه. وحتى بعدما تجسد وصار إنسانا، لا يزال يفعل هذا لكونه الابن الواحد مع الجسد المتحد به بطريقة تعلوا على الفحص وتفوق الفهم. لذلك فإن المعمدان المبارك بعد أن قال أولا: «لستُ مستحقا أن أنحنى وأحل سيور حذائه» أضاف على الفور «هو سيعمدكم بالروح القدس ونار وهو هنا يستعمل كلمة الحذاء ليعنى القدمين فالحذاء لا تكون بدون جسد... فالمسيح حينما صار فى الجسد عمل اعمالا لائقة باللاهوت وذلك بأن اعطى الروح القدس لاولئك الذين يؤمنون به . ولقد قالها يوحنا المعمدان مباشرة عن المسيح: «يأتى بعدى رجل... هو أبن ا لله» (يو١: ٣٠-٣٤). فبكل وضوح يدعوه إنسانا "رجل" ولكنه يعمد بالروح القدس حسب طبيعته الإلهية، لأنه هو نفسه فريد ووحيد وحده وهو بالحقيقة أبن ا لله الآب كما شهد عنه المعمدان آخذا إعلانا وعلامة من ا لله.

يا ربنا يا من أتيت إلى الأردن، نتضرع إليك أهب نار حبك فى قلوبنا، وجدد عمل روح قدسك فينا آمين.

حمل الله

«وفى الغد نظر "يوحنا" يسوع مقبلا اليه فقال هوذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم» (يو١: ٢٩). بعد تحذيرات يوحنا للشعب من الفأس الموضوع على أصل الشجرة، والمذراة المنقية لقمح البيدر، والنار التى ستحرق التبن إلا أنه يبشرنا بحمل الله الوديع الذى يرفع خطيئة العالم...

اليوم يصل المسيح له المجد إلى الأردن حتى يغسل خطيئة العالم كله. ولقد أدرك يوحنا هذا و لذلك أشار عليه قائلا: «هوذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم».

لقد كان المعمدان شخصا رؤويا يرى ما لا يرى... لقد رأى مجمل الفداء كله...

ورأى الخطيئة بثقلها الدهرى ترتفع من فوق كاهل العالم المنحنى تحتها هذه الدهور كلها لتوضع فوق المسيح الحمل، فتبيد وتتلاشى... لقد رأى يوحنا المعمدان المسيح له المجد ذبيحة حقيقية لذبائح الرموز كلها... لأنه توجد حملان كثيرة ذات مناظر حسنة للغاية حمل أسحق المذبوح تحت يد أبيه (تك٢٢: ١٠).وحملان موسى المتعددة المناظر والمنافع. وحمل أشعياء المساق صامتا إلى الذبح (اش٥٣: ٦-٧). وحمل أرميا الداجن (أر١١: ١١). وحمل بولس المعنى به الفصح... حملان حسنة كثيرة ولكن ليست كحمل المعمدان

ذى الأسم المهيب العجيب حمل الله حيث يجمع فى نفسه قوة الذبائح جميعا بل ويفوقها جميعا.

كلمة "يرفع" جاءت فى المضارع أى أنه يرفع خطايا العالم ويظل يرفع... «تعلمون أن ذاك أظهر لكى يرفع خطايانا وليس فيه خطيئة» (ايو٣: ٥).

إنه تعبير يشمل كل المعانى للفداء والكفارة، والغفران والفصح والخلاص، أى إزالة كاملة للخطية وكل مفاعيلها وأثارها...

❖ يا حمل الله يا حامل خطيئة العالم. ارحمنا . ❖

❖ المعمدان يمتنع ويسوع يُصر

«حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلا أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تاتى إلى فاجاب يسوع وقال له أسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر. حينئذ سمح له» (مت٣: ١٣-١٥).

النور هو حميم المسيح فهو المتسربل بالنور، ونحن الذين قد تعمدنا لبسنا هذا النور... لقد أدرك المعمدان من هو، ومن الذى يطلب منه أن يعتمد فقد كان يوحنا سراجا (يو٥: ٣٥). فى حضرة الشمس، الصوت فى حضرة الكلمة، الصديق فى حضرة العريس، الأعظم فى مواليد النساء فى حضرة بكر كل الخليقة، من ارتكض بابتهاج ساجدا فى بطن أمه فى حضرة المعبود من البطن، السابق فى حضرة الذى جاء والذى سيأتى، العبد فى حضرة سيده، الانسان فى حضرة الله...

"أنا محتاج أن أعتمد منك" هكذا قال يسوع ويمكننا أن نضيف أيضا "وأعتمد لأجلك" لأن المعمدان كان هو المحتاج أن يعتمد بدم المسيح ويغتسل متطهرا كمثل بطرس، ليس بغسل قدميه فقط... كان هو المحتاج أن يُغفر له، لا أن يغفر.

الواقع إن يوحنا هو الذى تعمد عندما أتى اليه المسيح... بل إنه بمجئ المسيح قد تقدس المعمدان، وبمجئ المسيح قد قدس الأردن من أجلنا وجعله معدا لدفن البشرية الخاطئة فى المياة، لتبدأ خليقة جديدة من الماء والروح.

معمودية المسيح

«حدث أنه لما اعتمد جميع الشعب أعتمد يسوع أيضا وإذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة حمامة وكان صوت من السماء قائلا: "أنت أبنى الحبيب بك سررت» (لو٣: ٢١-٢٣).

❖ *مياه نهر الأردن*

لقد تقدست ينابيع المياه، و ها هو المسيح يُظهر مجده للعالم. «استقوا مياه بفرح من ينابيع الخلاص » لأن المسيح ربنا قد قدس الخليقة كلها...

حينما تعمد المسيح، تقدس العالم كله وقد محا خطايانا لأننا نتنقى بالماء، والروح القدس،كما ان كل آثامنا تُحرق بنار الروح القدس الذى يعمدنا به المسيح... نسبحك يا ألهنا وفادينا، فاليوم أظهرت ذاتك لنا.

اليوم تحققت نبؤه المرتل «ا لله ملكى منذ القدم، فاعل الخلاص وسط الأرض. أنت شققت البحر بقوتك كسرت رؤوس التنانين على المياه. أنت رضضت رؤوس لوياثان جعلته طعاما للشعب، لاهل البرية أنت فجرت عينا وسيلا» (مز٧٤: ١٢-١٥).

لأنه من هم التنانين ألا الشياطين، ومن هو لوياثان سوى الحية القديمة إبليس ومن هو أهل البرية ألا الذين سمعوا الصوت

الصارخ لهم بالتوبة. وماذا تكون العين والسيل ألا مياه المعمودية فى الكنيسة المقدسة ؟

❖ *السماء انفتحت*

لقد تعمد المسيح فى نهر الأردن... فلنغطس نحن أيضا معه.

ثم خرج من الماء ونهض قائما... فلننهض نحن أيضا معه...

لقد قامت كل البشرية معه، وفردوس السماء الذى كان مغلقا منذ عصيان أدم، ولم نكن نرى منه ألا سيفا متقلبا من نار (تك٣: ٢٤) ها قد انفتح أمامنا مرة أخرى... وصارت لنا إمكانية أن نرى ونتناول من شجرة الحياة حيث أصبح الطريق لها ممهدا بظهور المسيح..."(رؤ٢: ٢٢،٧: ٢-١٤،/١٩). كان لما أعتمد يسوع، خرج من الماء، وانفتحت السماء أمامه.

حينما أعتمد يسوع كان يصلى لكى تتعلموا أنتم يا أحبائى أن الصلاة بلا انقطاع هى أمر مناسب جدا لاؤلئك الذين حسبوا أهلاً للمعمودية المقدسة. فإن ابن الله فى محبته للإنسان زودنا بطريق للخلاص والحياة.. لأننا بالأيمان و بالآب والابن والروح القدس وباعترافنا بهذا الإقرار أمام شهود كثيرين، ونعتمد، فإننا نغسل كل وسخ الخطية، ونغتنى بالحصول على الروح القدس ونصير شركاء الطبيعة الإلهية وننال نعمة التبنى. إن كلمة الآب حينما وضع نفسه للإخلاء وتنازل ليتخذ شكلنا، كان ضرورياً أن يصير نموذجاً وطريقاً

وقدوة لكل عمل صالح من اجلنا. فالذى هو الأول فى كل شئ ينبغى أيضا أن يضع نفسه مثالا فى هذا بادئا هذا العمل، اى (المعمودية) بنفسه.

لقد انفتحت السماء التى كانت مغلقة طويلا، وقد قال المسيح «من الان ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على أبن الإنسان» (يو١ ٥١:١). لأن جمهور السمائيين الذى فوق والجمهور الذى تحت على الارض قد صار الان واحدا. وصار رئيس رعاة واحد للكل. السماء قد انفتحت، والإنسان على الارض جُعل قريبا من الملائكة القديسين.

❖ *الروح القدس كحمامة*

اليوم يعود الروح القدس ويرف فوق المياه كمثل حمامة... لقد ابتدأت خليقة جديدة على الارض بنفس صورة الخليقة الأولى: «وروح الله يرف على وجه المياه» (تك١: ٢٩) فكبداية ثانية لجنسنا البشرى نزل الروح القدس على المسيح أولا، وحلول الروح القدس على المسيح ليس لأجل نفسه، بل لاجلنا لأننا بالمسيح نغتنى بكل الأشياء، ذاك الذى بطبيعته الإلهية هو الملء نفسه، ولكنه بحسب تدبير النعمة أحتمل معنا كل الأمور الخاصة بالإنسان فى إخلائه لذاته. "فأنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو الغنى لكى تستغنوا أنتم بفقره" (٢كو٨: ٩).

أتى الروح القدس اليه كمساو ، شاهدا على ألوهيته. نزل الروح على هيئة جسمية مثل حمامة ، تلك التى منذ أجيال سحيقة ماضية قد أعلنت نهاية الطوفان وهكذا أعطت الكرامة لأبن الانسان الذى هو واحد مع الله. لقد أعلنت حمامة نوح إختفاء طوفان غضب الله من الارض: «وقال الرب فى قلبه لا أعود العن الأرض أيضا» (تك٨: ٢١). هكذا الآن بعد أن تنسم الرب طاعة المسيح لمشيئته رائحة رضى اعظم من ذبائح نوح، أعلنت حمامة أن غضب الله على العالم قد إنتهى إلى الأبد.

حملت حمامة نوح ورقة زيتون، الشجرة التى يستخرج منها الزيت، فى فمها ولكن بدلا من ذلك يسكب الروح القدس على رأس المسيح ملء الغنى التى للمسحة الجديدة من الآب... وبهذا تحققت نبوءة المرتل «لذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من رفقائك» (مز٤٥: ٧).

أيها المسيح مخلص جنس البشر... لقد مسحك الله بالروح القدس للكرازة بالخلاص... أعط لكل إنسان أن يرى هذا الخلاص، ويؤمن بك كى ينال الحياة الأبدية. أيها المسيح رجاؤنا اهدى اولئك الذين فى الظلمة إلى نور الخلاص، ونيح نفوس اخوتنا فى ملكوتك... أمين

❖ *صوت الآب*

صوت من السماء، من المكان الأصلى الذى أتى منه المسيح.

صوت الأب قد سمع: هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت.

اليوم قد تحقق ما تنبأ به المرنم: «صوت الرب على المياه اله المجد ارعد الرب فوق المياه الكثيرة» (مز٢٩: ٣).

ماذا قال الصوت؟ هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت.

لذلك فأذا اتخذنا نحن ايضا المسيح كمثال لنا، واصطبغنا بنعمة معموديته المقدسة لكيما نحصل على دالة الصلاة بلا انقطاع ونرفع أيادى مقدسة إلى الله، يفتح الآب السماء علينا نحن أيضا ويرسل علينا الروح القدس و يقبلنا كأبناء. لانه تحدث إلى المسيح فى وقت المعمودية المقدسة، كما لو كان قد قبل فى المسيح الجنس البشرى كله. قبله إلى بنوته الالهيه قائلا: «هذا هو أبن الحبيب الذى به سررت». فالذى هو الابن بالطبيعة والحق، وهو الوحيد الجنس، فانه حينما صار إنسانا مثلنا أعلن بنوع خاص أنه ابن الله. لا كأنه ينال هذه البنوة لنفسه، لانه كما قلت أنه كان ولا يزال دائما هو الابن ذاته. ولكن لكى يعطى لنا نحن البشر نعمة البنوة الله. لأن المسيح قد جعل باكورتنا، و هو البكر و أدم الثانى ولهذا السبب مكتوب أن «كل الأشياء صارت جديدة فيه» (٢كو٥: ١٥).

لأننا اذ قد خلعنا القديم الذى كان فى آدم الأول، فقد حصلنا على الجديد الذى فى المسيح.

فلنكرم اليوم يا أحبائى معمودية المسيح، ونحتفل بهذا العيد فى قداسة وأذ قد تطهرنا تماما بمعموديته فلنداوم على الطهارة، فليس شئ يبهج الله أكثر من تحول الناس إلى طريق الخلاص. لأنه من أجل كل الناس تجسد الكلمة وظهر معلنا ذاته...

أن المسيح يريدك قوة حية، نورا مضيئا فى العالم. إنك مدعو فى هذا العيد أن تتمتع أكثر وأكثر بالنور النقى المبهج الذى ظهر اليوم من الثالوث القدوس كشعاع نور من المجد الاسنى.

أيها المسيح الابن الوحيد الذى أحبك الآب وسر بك... أرحم يا رب جميع الذين يطلبونك من كل قلبهم... أنت لا تقصف قصبة مرضوضة ولا تطفئ فتيلة مدخنة احفظنا نحن أبناؤك المولودين من الماء والروح القدس مخلصين للدعوة التى دعينا بها.

لانه يليق بك مع الآب والروح القدس كل المجد إلى ابد الآبدين آمين.

وبهذه المناسبة الكريمة يتقدم مجمع دير السريان العامر بأجمل التهاني للجالس على كرسي مارمرقس.

قداسة البابا شنوده الثالث

وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السيدة العذراء والأنبا يحنس كاما وكذلك إلى سائر المجمع المقدس للكنيسة القبطية والاكليروس وكل الشعب

❖ وكل عام والجميع بكل خير ❖